خطبة قصة قاتل المائة نفس

الخطيب : يحيى سليمان العقيلي

الحمدلله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ، وأشهد ألّا إله إلا الله وسع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلما ، وأشهد أن محمداّ عبدالله ورسوله وصفوته من خلقه وخليله ، بلّغ الأمانة وأدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، فصلوات ربي وسلامه عليه ،،

وعلى آله الطاهرين وصحبه الطييبين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ،،

اما بعد فاتّقوا الله عباد الله واشكروه ، وتوبوا اليه واستغفروه ، فإن المتقين هم الفائزون الناجون

" وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (61 الزمر )

معاشر المؤمنين

قصةٌ من القصص النبوي ، فيها العبر النافعة والدروس المفيدة ، قصةٌ تفتح الأمل أمام من أسرف على نفسه ، وشرُد عن صراطِ ربّه ، لأن يسلك طريق التوبة والإنابة ولاييأس من رحمة الله ،،

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدْرِي - رضي الله عنه - أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قَتَلَ تِسْعةً وتِسْعين نفسًا، فسأَل عن أَعلمِ أهلِ الأرضِ فدُلَّ على راهِبٍ، فأتاه، فقال: إنه قَتَل تِسعةً وتسعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِنْ توْبَةٍ؟

فقال: لا، فقتلَهُ فكمَّلَ بِهِ مائةً، ثمَّ سأل عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائةَ نفسٍ، فهل له من تَوْبة؟ فقالَ: نعم، ومنْ يحُول بيْنه وبيْنَ التوْبة؟

انْطَلِقْ إِلَى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أُناسًا يعْبدون الله تعالى فاعْبُدِ الله معهم، ولا ترجعْ إِلى أَرْضِكَ؛ فإِنها أرضُ سُوءٍ، فانطَلَق حتَّى إِذا نَصَف الطَّريقُ، أَتَاهُ الموتُ فاختَصمتْ فيه مَلائكة الرَّحْمة وملائكةُ العَذابِ،

فقالتْ ملائكةُ الرَّحْمة: جاء تائِبًا مُقْبلاً بِقلبه إلى اللَّه تعالى، وقالَتْ ملائكة العذاب: إنه لمْ يَعْمل خيرًا قطُّ، فأَتَاهُمْ مَلكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم؛ أَي: حَكمًا، فقال: قيسوا ما بينَ الأَرْضَينِ، فإِلَى أَيَّتِهما كَان أَدْنى فهْو لَهُ، فقاسُوا فوَجَدُوه أَدْنى إِلَى الأرض التي أَرَادَ فَقبَضَتْهُ مَلائكَةُ الرحمة))؛ متفقٌ عليه.

وفي رِواية في الصحيح: ((فأَوْحَى اللَّهُ تعالَى إلى هذه أن تباعَدِي، وإلى هذه أَن تَقرَّبِي، وقَال: قِيسُوا مَا بيْنهمَا، فَوَجدُوه إِلَى هَذِهِ أقربَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ له))،

عبرة عظيمة وعظة بليغة ، ودعوة لمن أسرفوا على أنفسهم فإنغمسوا في الشهوات المحرمة والغفلات المسرفة ، ثم خطر عليهم خاطرُ التوبةِ والأوبة أن يبادروا ويسارعوا للتوبة ،

ويحذروا التسويف والتثبيط من شياطين الإنس والجن ، فهذه هي وصية الله تعالى لهم ،، قال تعالى

۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

وتأملوا أبواب الرجاء والرحمة والأمل في هذه الاية : ناداهم بياعبادي ،، وذكر أنهم قد أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي ،، ثم نهاهم عن القنوط من رحمة الله ،، و أخبرهم جلّ وعلا بأداة التوكيد إن الله يغفر ،،

وذكر الذنوب بصيغة الإطلاق والتعميم "

 " الذنوب جميعا " ثم ختم الايةَ بخاتمةٍ كلها توكيد وتأكيد " إنّه هو الغفور الرحيم " ،،

فكيف يقنط مذنب من رحمته ؟

وكيف ييأس مسرف من عفوه ؟

وكيف لايرجو عاصٍ قبولَ إنابته وتوبته ؟؟

قال صلى الله عليه وسلم يقول:

الله تبارك وتعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبُكَ عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) ( رواه الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني)

كيف لايبادر العبد بالتوبة والإنابة ،عباد الله ، وربّنا جلّ وعلا يفرح بتوبة عبده ، ففي الحديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((لَلهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحلَته بأرضٍ فَلَاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجَعَ في ظلِّها قد أيس من راحِلَته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخِطامها، ثمَّ قال مِن شدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شِدَّة الفَرح)) ( متفق عليه ) .

لذلك وجب على المذنب الذي حدثته نفسه اللوامّة بالتوبة والأوبة أن يسارع ويبادر للتوبة والإنابة ، كما قال عزّ وجل

۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133 ال عمران ) فالمغفرةُ والقَبول لمن يبادر ولايسوّف ،، قال تعالى : ( إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ،

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (17-18 النساء )

وفقنا الله للبّر والتقوى والعمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ،، إنّه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

من العبرِ البليغةِ في هذه القصة : أهميةُ الرجوعِ للعلماء الربّانيين عند السؤال وطلب الفتيا او النصح والإرشاد ، فهذا القاتل سأل أولا راهبا متعبّدا ليس من أهل العلم ،

فأفتاه عن جهل ، فلما سأل العالمَ الناصح دلّه على الطريق الصحيح للإستقامة ، بعد أن فتح له بابَ الأمل والرجاءِ برحمة الله ،

كما أن فيها فائدةٌ عظيمةٌ لمن أراد الإستقامة على طريق التوبة ، وذلك حين أرشد العالمُ التائبَ أن يترك قرية السوء التي كانت موطنه ، ويذهب لقربة الصالحين ليستعين بهم بعد الله على الثبات والإستقامة ،

وفي هذا عبرةٌ بليغة في أثر البيئة الصالحة لإستقامة التائب على توبته ، كما أرشدنا ربنا جلّ وعلا وقال " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)

وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم :" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل".

وصدق الشاعر اذ يقول :

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينَهُ \* \* فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي